

وقفة مع كتاب

من شعراء الإسلام

للدكتور محمد بن سعد بن حسين

أنه لم يسر على منهج واضح في تراجمه سواء في النصوص التي يختارها كثرة وقلة، أو المعلومات التي يوردها أو مقدار الترجمة طولاً وقصراً، فقد تجد ترجمة تصل إلى عشرين صفحة وترجمة أخرى لا تزيد على صفحتين، مع عدم الدقة في اختيار الشعراء بل حشد الكتاب بأسماء كثيرة ممن قال شعراً أو كلاماً منظوماً، وهذا النوع وإن احتوى مضامين إسلامية فإن اعتبار أصحابه من الشعراء الإسلاميين



بقلم: عبدالله الهويش
السعودية

وترجمتهم في مثل هذا الكتاب بعيد عن الصواب، فالشعر ليس هو الكلام الموزون المقضى فحسب كما لا يخفى على علم الدكتور الفاضل، ويضاف إلى هذا تساهل المؤلف في إيراد بعض الشعراء ممن لا يصح أن يقال عنهم إنهم من شعراء الإسلام بمعنى الالتزام بمضامينه وتمثل قيمه والمنافحة في سبيله وتوظيف شعرهم في سبيل ذلك، كما أنه يعرض لكثير من القضايا ويتركها معلقة بحجة أن الوقت ضيق أو لا يتسع أو أن المجال ليس مجالها، وهكذا وكأنما هو في عجلة من أمره، مثل نسب أبي تمام في (ص ٦١)، وشعره في (ص ٦٢) وضعف شعر حسان في الإسلام (ص ١٦) وغيرها، وقد يعذر المؤلف عندما كانت أحاديث في الإذاعة لها حيزها ووقتها المحدد، ولكن ما عذره بعد الكتاب مبسوط بين يديه والوقت متسع. وهكذا إغفاله ترجمة بعض الأعلام الذين ورد ذكرهم أثناء التراجم، وكان من المناسب لو عرف بهم ولو في الهامش

لقد أتيت لي الفرصة لقراءة هذا الكتاب القيم في طبعته الأولى سنة ١٤٠٤هـ الذي ألفه سعادة الأستاذ الدكتور محمد ابن سعد بن حسين، الذي يعد أستاذاً لي في المرحلة الثانوية بمعهد الرياض العلمي عام ١٣٨٧هـ تقريبا حيث كان مدرسا لمادة الأدب في الصف الخامس. وكتابه هذا جدير بالاهتمام والعناية نظرا لأهمية موضوعه الذي يهدف إلى تأصيل الأدب وربطه بعقيدة الأمة حتى يكون هذا الأدب صورة حية ناطقة معبرة عن

ضميرها يستقي من مواردها ويصدر عن مناهلها.

والكتاب في الأصل أحاديث أعدها المؤلف للإذاعة ويبدو أنه نشرها كما أعدت ولم يضيف إليها ما عساها تحتاجه من تعديل أو إضافة بعد أن تحولت إلى كتاب مطبوع ومن ذلك عدم ذكر المراجع والمصادر التي اعتمد عليها والتوثيق لما يورده من معلومات ونصوص وما أكثرها.

وقد اشتمل على التعريف بثمانية وخمسين شاعرا من شعراء الإسلام بدءا من عصر النبوة وحتى العصر الحاضر، ولم يظهر لي أنه التزم قاعدة محددة في الاختيار، بل لعل ذلك حصل عفوَ الخاطر، ومن هؤلاء سبعة عشر شاعرا من المملكة ولعل هذه الوفرة في شعراء المملكة لديه ترجع إلى سهولة الحصول على المعلومة وقرب المأخذ مع أن المفترض في كتاب يؤلف عن شعراء الإسلام بشكل عام زمانا ومكانا أن يكون فيه توازن وشمولية وتنوع. ويلاحظ على الكتاب عموما

ووصف القرآن العزيز والسنة المطهرة بالفكر الإسلامي والإرشاد السماوي خطأ واضح لأن الكتاب والسنة هما النصوص الشرعية المنزلة من عند الله مع الاختلاف بينهما، أما الفكر الإسلامي فهو ما أنتجه المسلمون من خلال فهمهم للقرآن والسنة.

ثالثا : شعر الدعوة الإسلامية

عرف شعر الدعوة الإسلامية بأنه «الشعر الذي خدم أربابه الإسلام فكرا واعتقادا وعملا»، ثم وضع كلا من هذه الثلاثة فقال عن الفكر : «أما الفكر فمن خلال شرح مسائل الإسلام أصولا وفروعا، وشرح أفكار رجال الإسلام، ومحاولة توضيح هذه المسائل وتقريب هذه الأفكار» (ص ٥-٦).

وعلى هذا التعريف يمكن اعتبار المتون العلمية المنظومة في العقيدة والفقهاء وخلافها من الشعر الإسلامي، وأن أصحابها شعراء إسلاميون على هذا المفهوم، وهذا ما يوحي به صنيعة في كتابه حيث ضم مجموعة من هؤلاء.

رابعا : شعر حسان في الإسلام

نقل المؤلف رأي الأصمعي في ضعف شعر حسان في الإسلام وأنه لا يقوى إلا في الشر، ثم علق بقوله : «وهذه مسألة جديرة بالوقوف عندها لولا أن المجال لغيرها» (ص ١٦). وأقول: إذا لم يتحدث عن هذه المسألة في كتاب عن شعراء الإسلام فأين يتحدث عنها؟ إنها عندي أولى وأهم من بعض المسائل التي وقف عندها مثل اتهام حسان بالجنين مع أن هذه المسألة الأخيرة - أي مسألة الجنين - لو صحت لا تؤثر على شعره لأنها تدخل في باب طباع الرجال وأخلاقه التي جبل عليها.

خامسا : معلومات خاطئة عن حافظ إبراهيم

يذكر أن الشاعر حافظ إبراهيم عين أمينا لدار الكتب (ص ١٧٢) والمعروف أنه عين رئيسا للقسم الأدبي وليس أمينا للدار.

جاء في مقدمة ديوانه التي كتبها أحمد أمين رحمه الله ما نصه : «عين رئيسا للقسم الأدبي بدار الكتب في ١٤/٣/

مثل الشيخ أحمد زكي باشا، وأحمد زكي المتأخر كما سماه صفحة ١١٥.

ومما يحمد للمؤلف التزامه التاريخ الهجري، الذي تجافى عنه الكثيرون في هذه الغربية التي تعيشها أمة الإسلام - وهي محمدا للمؤلف نشكره عليها وهذا هو الواجب

والمستحتم - وكذلك ريادته هذا المجال الذي لا يزال بكرا ويحتاج إلى كثير من الطاقات والجهود، وإن كان الباحث قد يختلف مع المؤلف في نقاط من كتابه يرى أنها تحتاج إلى وقفات تأمل.

ومما يؤسف له وجود بعض الأخطاء النحوية والإملائية والمطبعية ولعل المؤلف لم يشرف على طباعته أو عهد به إلى من لا يوثق به، كما أن هذا لا يعني مطبعة الفرزدق وهي التي قامت بطبعه من مسؤولية مثل هذه الأخطاء، ثم نأتي إلى بعض التفاصيل:

أولا : هل ضاع شعر شوقي في

المدح وخاصة ما قاله في ملوك مصر؟

يقرر المؤلف أن جل مدح شوقي ضاع وخاصة ما كان منه في ملوك مصر (ص ١٦٩) فهل هذا صحيح؟ ولعله من الصدف الجميلة أن يصدر قبل فترة مجموعة أعمال شوقي الشعرية والنثرية في تسعة أجزاء منها أربعة أجزاء للشعر. ولقد قمت برصد ما في الجزء الأول من هذه الأجزاء الأربعة من مدائح وتهان للملوك مصر السابقين فكانت النتيجة أنني وجدت اثنتي عشرة قصيدة وعدد أبياتها أربعمئة وأربعون بيتا. ولعل المؤلف تأثر بما حصل عندما قامت الثورة المصرية فطبع ديوان شوقي فكان أن حذف منه ما يتصل بالأسرة الحاكمة السابقة لظروف واعتبارات سياسية.

ثانيا: القرآن والسنة ليسا فكرا إسلاميا؟

جاء في مقدمة الكتاب قوله : «إن الله تعالى إنما ذم من الشعراء من سخر لسانه لما لا ينسجم مع الفكر الإسلامي والإرشاد السماوي وهو الكتاب العزيز والسنة المطهرة» (ص ٥).



وأخلق بمثل هذه الآراء أن تكون معتمدة على ما ورد في بعض الكتب الأدبية التي لم تؤلف لتكون مصدرا لدراسة المجتمع الإسلامي في عصوره المتقدمة بعيدا عن المصادر الأصلية والموثقة.

سابعا : قصيدة محمود غنيم

يقول عن قصيدة الشاعر محمود غنيم (وقفه على ظل) ومطلعها:

مالي وللنجم يرعاني وأرعاه

أمسى كلانا يعاف الغمض عيناه
بعد أن أورد أبياتا منها «لولا ضيق الوقت لأوردناها كاملة» (ص ٢٤٧).

وأقول ما معنى ضيق الوقت هنا، ولماذا لم يضق عليه الوقت عندما ترجم لعبد الحميد الخطيب في تسع عشرة صفحة مليئة بالنصوص التي لا ترقى إلى مستوى هذه القصيدة ٢١٢-٢٣١.

ثامنا: سبحات الخيال للجارم

أشار إلى ديوان (سبحات الخيال) لعلي الجارم على أنه ديوان آخر له، والواقع أنه عبارة عن مختارات من الديوان كما يعلم كل من اطلع عليه وله إمام بشعر الجارم، كما ذكر أن ديوانه في ثلاثة أجزاء، والمعروف أنه طبع في أربعة أجزاء طبعته مطبعة المعارف ومكتباتها بمصر.

تاسعا: الشعر الإسلامي والمسرح

عندما عدد أسباب توافر الشعر الإسلامي في هذا العصر ذكر منها إنشاء المسرحيات الشعرية (ص ٨)، وفي اعتقادي أن وجود الشعر المسرحي في الأدب الحديث ليس له علاقة بالشعر الإسلامي، ولا يصح تعليل وجود أحدهما بالآخر.

عاشرًا: الشاعر حسن جاد

يقول عن الشاعر حسن جاد إنه أستاذه (ص ٢٤٨). وكان من حقه عليه أن يترجم له، وهو جدير بذلك بل هو أولى من كثير ممن حشد بهم كتابه، وخاصة أن هذا الشاعر لم يلق العناية اللائقة به.

وبعد: فهذا بعض ما عن لي أثناء مطالعتي لهذا الكتاب، ولعل المؤلف الفاضل يجد ما يفيد، والله الهادي. ■

١٩١١م، تحت الاختبار بمرتب ٣٠ جنيتها، وفي ١/٤/١٩١٢م، عين بصفة دائمة، وفي ٧/٢/١٩١٦ م، عين رئيسا للمغربين بدار الكتب أيضا «المقدمة هـ».

ومما يتصل بحافظ أنه ذكر أنه لم ينظم في مناسبة الهجرة (ص ١٧٢)، وكل مطلع على الديوان يعلم أنه يحوي قصيدتين في موضوع الهجرة الأولى مطلعها:

أطل على الأكوان والناس تنظر

هلال رآه المسلمون فكبروا

قالها بمناسبة العام الهجري ١٣٢٧هـ الموافق يناير ١٩٠٩م، الديوان (ج ٢، ص ٢١). والثانية مطلعها:

لي فيك حين بدا سناك وأشرقا

أمل سألت الله أن يتحققا

بمناسبة العام الهجري ١٣٢٨هـ الموافق يناير ١٩١٠م الديوان، (ج ٢، ص ٤٨).

سادسا: سيرة أبي تمام وعصره

يذكر أن سيرة أبي تمام لم تكن نظيفة، وأنه ذكر عنه كثير من التهاون في الدين غير أن الناس لم يذيعوا أمره كصنيعهم مع أبي نواس وسبب ذلك ما عرف به عصره من تساهل وتهاون، (ص ٦٢).

ولا أريد الدفاع عن أبي تمام وإن كنت أرى أن ما صدر عن أبي تمام لا يقاس بما صدر عن أبي نواس من الشذوذ والاستهتار، ولهذا يقول الأستاذ عمر فروخ في كتابه عن أبي تمام (ص ٤٢): «إنه متكتم قليلا، وأن أبا نواس متهتك مستهتر».

ثم إذا صح هذا الذي يقال عن أبي تمام، فما وجه وروده في هذا السياق المفترض نظافته، والذي أريد الوقوف عنده هو وصف عصر أبي تمام (١٨٨-٢٣١) بالتساهل والتهاون، والواقع أن هذا الكلام بعيد عن الصواب فليس من السهل الحكم على عصر كامل بمثل هذه الأحكام المبتسرة، وذلك لمجرد وجود بعض الشواذ فيه والخارجين على القانون ممن يوجد مثلهم في كل جيل، ثم إذا صح أن هؤلاء هم الذين يمثلون المجتمع فأين موقع العلماء والزهاد والمجاهدين والقضاة والحكام وعلماء اللغة والأدب وكافة طبقات الأمة الذين يمثلون التيار الجارف وخاصة في تلك العصور المتقدمة من التاريخ الإسلامي.